العرب
الإثنين 2019/11/25
السنة 42 العدد 11539

مستنسخون في صراع طاحن ضد الشبيه

«رجل جيميني» قنّاص معدّل وراثيا يفتك بأعدائه بلا هدف

المغامرة والحركة كانتا على الدوام عناصر جذب إضافية في العديد من الأنواع الفيلمية، ومنها أفلام الخيال العلمي التي على الرغم من بنيتها السردية القائمة على ما هو خيالي مطلق في غالب الأحيان، إلّا أن عنصري المغامرة والحركة يمنحانها جمالية عالية، وهو ما يقدّمه المخرج آنج لي في فيلمه الجديد "رجل جيميني".

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

مغامرة مجهولة العواقب

عناصر المغامرة والحركة والجريمة، توفّر دائما وأبدا متعة إضافية لأفلام الخيال العلمي حتى تلك التي تتضمن صراعا مع كائنات فضائية أو تلك التي تم تعديلها وراثيا في المختبرات لمنحها قدرات خارقة.

وفيلم "رجل جيميني" (Gemini Man) لا يحيد عن هذا المنحى، وهو من إخراج آنج لي ذي الأصول التايوانية، وهو مخرج غزير الإنتاج، بدأ الإخراج في مطلع التسعينات ليصل عدد أفلامه الآن، إلى قرابة 15 فيلما، وهذا الفيلم هو الأحدث له. وفيه نجد الكثير ممّا ذكرناه من براعة في استخدام عناصر الحركة والمغامرة والجريمة.

يبدأ الفيلم مع استعداد هنري (الممثل ويل سميث) لتنفيذ عملية اغتيال بالغة الدقة تستهدف شخصا يستقل قطارا فائق السرعة في مدينة لييج البلجيكية، يكمل المهمة بنجاح ويعود إلى الولايات المتحدة.

وليس هنري إلّا قنّاصا بارعا لديه مهارات فطرية استثنائية، فمنذ اكتشاف تلك المهارات وهو يشتغل في المارينز، لقد تم تجنيده قصد تنفيذ عمليات بالغة السرية لاغتيال شخصيات يتم إيهامه بأنها إرهابية ويجب التخلّص منها.

لكن ما لم يكن في حسبان هنري الذي أمضى سنوات طويلة من عمره وهو ينفذ تلك العمليات أن هناك ضحايا ليسوا إرهابيين، ومنهم ذاك الذي أجهز عليه في العملية الأخيرة، فهو العالم البيولوجي الذي يُشرف على مشروع جيميني للاستنساخ البشري، ولحساسية المشروع والوصول إلى نتائج متقدّمة فيه تم الإجهاز على واحد من أهم مؤسّسيه.

بنيت شخصية هنري على أساس الشك والحذر على مدار الساعة، وأنه قد يقع ضحية تصفية حسابات أو يجري التخلّص منه في أيّ لحظة.

تبرز في طريق هنري امرأة متخفية لمراقبته اسمها داني (الممثلة ماري وينستيد)، وسرعان ما سيكتشف هنري حقيقتها، فيؤكد لها أنه وإياها الضحيتان القادمتان، وبالفعل تتم ملاحقتهما من قبل مقنعين مجهولين، لكنهما ينجحان في الهرب إلى كولومبيا.

وبدا في الفيلم توظيف التنوع المكاني عاملا إضافيا في الدفع بهذه الدراما إلى الأمام، خاصة تلك المشاهد التي تم تصويرها في كولومبيا وهنغاريا، حيث تم استخدام الأماكن كمسرح لأحداث عمّقت عنصر الاقتفاء والمطاردة، ونجح المخرج من خلال ذلك في صنع مشاهد حركة متقنة عمّقت عنصر الإحساس بالمكان والتعبير عن جمالياته.

ومع تحوّل هنري وداني ثم صديقهما بارون (الممثل بنيديكت وونك) إلى فريق مستهدف، يبقى ثمة سؤال محير في هوية ذلك المسلح البارع الذي هاجم هنري وسط دهشة داني، فهو يشبه هنري إلى ما يقارب التطابق ويمتلك مهارات مشابهة لمهارات هنري.

> دراما التشويق وحبس الأنفاس والمزيد من الكائنات المستنسخة، كانت من العلامات البارزة في فيلم «رجل جيميني»

ينفي هنري أن يكون له ولد، وذلك ما يدفع داني إلى تحليل الحمض النووي للاثنين، لتفاجأ بالتطابق التام، ثم ليظهر في ما بعد أن كلي جونيور ما هو إلّا نسخة من هنري تم تطويرها من خلال برنامج بيولوجي شديد السرية أشرف عليه كلايتون (الممثل كليف أوين).

واقعيا، أرادت الأجهزة السرية أن تجد بديلا أو مشابها لهنري ينفذ العمليات بعد تقاعده، ولا بأس في استنساخ أكثر من نموذج واحد لشخصيات شديدة المهارة في القنص، ولكنها لا تحمل أيّ مشاعر أو مواقف أخلاقية.

يخوض هنري صراعا داميا مع نموذجه المستنسخ، لكن حاجزا نفسيا غريزيا كان يمنعه في كل مرة عن قتله، ليكتشف أخيرا أنه كائن مصطنع عن طريق الاستنساخ والتطوير البيولوجي، فيعيش حالة فصامية حادة.

ولعل الملفت للنظر في هذه الدراما الفيلمية، كما ذكرنا آنفا، هو بناء التحوّلات السردية للفيلم على أساس عنصر الحركة والإثارة وتوسيع مساحة المغامرة والاكتشاف لتتعدى ثيمة الخيال العلمي لوحدها.

وفي ذلك وجدنا أن نموذج الإنسان ذا القدرات الخارقة والاستثنائية هو هدف آخر يحقّقه هذا الفيلم، وبالأخص مع النموذج الثالث للقنّاص والمحارب المستنسخ ذي القدرات الهائلة في تسلق الجدران وإصابة الأهداف وعدم التأثر بالرصاص وما إلى ذلك.

نموذجان مستنسخان ظلا في أغلب مشاهد الصراع والحركة يوظفان قدراتهما الاستثنائية ليحقّقا عنصر التفوّق، وفي كل مرة كانت هناك ما يشبه الغارات التي يشنها أحد المستنسخين بأمر من كلي الأب، أو كلايتن، صاحب المشروع.

ساعة الحقيقة لا تلبث أن تتحقّق مع التحوّل الدرامي في شخصية جونيور، وهو يحاكم والده بالتبني والمشرف على عمليات الاغتيال ومشروع الاستنساخ عندما تقع المواجهة بين الثلاثة لتنتهي بمقتل الأب على يد هنري.

دراما التشويق وحبس الأنفاس والمزيد من الكائنات المستنسخة وصناعة مشاهد حركة شديدة البراعة، كل ذلك كان من العلامات البارزة في هذا الفيلم الذي حمل الكثير من عناصر النجاح التجاري الجاذب لعشاق أفلام الخيال العلمي المطعمة بالحركة والجريمة.

استعمار السوق الفنية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ليس سرا القول إن هناك حربا حقيقية بين جهة تحاول استعادة الفن، لكونه قوة طليعية في العمل على تغيير طريقة النظر والارتقاء بالذائقة الجمالية لدى عامة الناس وبين من يسعون إلى تحويله وسيلة للاستثمار التجاري، كونه سلعة نادرة يمكنها أن تُدخل إلى سوق التنافس قيما استهلاكية جديدة تجلب المزيد من الأموال بطريقة مريحة.

وفي عصر صار فيه كل شيء صناعة مثل عصرنا، فإن المجتمعات تتعرّض لهجمة دعائية غير مسبوقة تُحطّ من شأن المعايير الجمالية الثابتة وتسعى إلى فرض مصالح أقلية مستفيدة تسعى إلى طي صفحة حرية الفن التي تحرّض على حرية المجتمع والبدء بصفحة جديدة يمكن أن يكون عنوانها "فن تحت السيطرة"، وهو ما يقود إلى استعباد المجتمع بطريقة أنيقة ورفيعة المظهر.

آثار تلك الحرب يمكن أن نراها شاخصة في المتاحف والصالات والمزادات الفنية؛ بحيث صار أمرا طبيعيا أن يتم على سبيل المثال استبعاد نقاد الفن وهم الشريحة المؤهلة للتعريف بالفن الحقيقي من افتتاحات المعارض ومن اللقاءات الفنية الكبرى ومن حفلات التكريس والإشهار واستبدالهم بالصحافيين الذين يتمّ تحديد مهماتهم من قبل الجهة التي تنفق عليهم.

ذلك جزء من عملية فساد كبيرة كان الفن الحقيقي ضحيتها، بحيث صار الفنانون مجرد أدوات منفذة لمشروع غامض، لا يمكن التعرّف على أسراره من غير التعرّف على الآلية المالية التي تحركه.

إن فناني اليوم وإن كانوا يتصدّرون المشهد الفني هم في حقيقة ما يقومون به واجهات دعائية هي أشبه بالمزحة الخفيفة التي يمكن استبدالها بين لحظة وأخرى.

لم يعد نموذج الفنان المناضل والكادح والمحرّض من أجل قيم إنسانية نبيلة، كما هو حال رامبرانت وفنسنت فان كوخ وغويا وسيزان وبيكاسو، مرغوبا فيه أو مقبولا. هناك اليوم فنانون هم أشبه بعارضات الأزياء، يتم الاستغناء عن خدماتهم بعد أن يخفت بريقهم الاستثماري. أما الفنان الحقيقي فقد عاد إلى وطنه الذي يقع في مناطق قصيّة ونائية وعصيّة على استعمار السوق.

«العادلون» تراجيديا موسيقية بين أدب كامو و«راب» عبدالملك

بعد عامين ونصف العام من أعمال الترميم والصيانة، يفتح مسرح شاتلي بباريس أبوابه لفنان الراب عبدالملك في تجربة مسرحية فريدة، هي تراجيديا موسيقية صاغها انطلاقا من مسرحية ألبير كامو "العادلون"، وحاول فيها الربط بين موسيقى الراب والأثر الأدبي.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

من الأسماء التي استطاعت أن تفرض حضورها في الساحة الفرنسية رغم انتمائها إلى الضواحي ريجيس فاييت ميكانو الشهير بعبدالملك، فهو كاتب وممثل ومخرج ومغنّ من أصل كونغولي، برز منذ أواخر الثمانينات حين أسّس مع أخيه بلال وابن عمه عيسى فرقة الراب "الشعراء الأفارقة الجدد"، وأصدر ألبوما أول عام 2004.

ثم لفت الانتباه عندما نشر عام 2005 كتابا بعنوان "ليبارك الله فرنسا" شرح فيه مساره العقدي، ودافع عن إسلام رصين، يقوم على التسامح والرغبة في الاندماج في النسيج المجتمعي الفرنسي، نال عنه جائزة لورانس تران في بلجيكا، وحوّله بنفسه لاحقا إلى شريط سينمائي، قبل أن يصدر ألبومات أخرى مثل "جبل طارق" و"كآبة ومثالية".

وهو إلى ذلك كاتب ملتزم يناضل مع فرقته لمحو الأمية في صفوف الجاليات الأفريقية المهاجرة، وينشر مؤلفات يدافع فيها عن شباب الضواحي مثل "حرب الضواحي لن تندلع" و"آخر الفرنسيين"، و"الإسلام في نجدة الجمهورية"، وخاصة "كامو، فن التمرد" الذي أصدره عام 2016.

واختياره لمسرحية "العادلون" لم يكن وليد الصدفة، أولا لإحساسه بقربه من ألبير كامو الذي ربته أمه، مثله، وكانت الثقافة وسيلته للخروج من وضعه البائس ومطاولة الأنتليجنسيا الباريسية، فهو بالنسبة إليه بمثابة أخ كبير يجد لديه النصح والمشورة. ثانيا، لأن قراءته لهذه المسرحية جاءت في ظرف سياسي متوتر بعد سنة من مظاهرات السترات الصفراء، وفي مرحلة صار فيها التمرّد على كل الألسن، فالمسرحية في نظره هي صدى لما نعيشه اليوم.

يقول عبدالملك "ما معنى الالتزام اليوم في العام 2019؟ وما معنى التمرّد والثورة؟ وما معنى الصراع ضد كل أشكال الحيف والظلم؟ وما معنى كل ذلك في الأنظمة الديمقراطية؟ لقد اجتمعنا أكثر من مرة في ضاحية أولني سو بوا للحديث عن النص، وأثرنا قضية العنف البوليسي، وإشكالية الهجرة، والأحياء المهملة، وكان ينتابنا شعور بأن هذه المسرحية تطرح أسئلة كانت جوهرية عام 1949، أي سنة تأليفها وعرضها لأول مرة، وأنها لا تزال كذلك اليوم".

ومسرحية "العادلون" التي ألفها كامو في خمسة فصول، تستند إلى وقائع حقيقية، وتروي اعتزام مجموعة إرهابية من الاشتراكيين الثوار في موسكو عام 1905 اغتيال الدوق الأكبر سيرج، حاكم المدينة المستبد. والمنفذان هما دورا صانعة القنبلة، وعشيقها كالياييف الذي تولى رميها، قبل أن يتم إيقافه.

مأساة تتجدّد

ورغم العرض الذي قدّمته له الدوقة الكبرى إليزابيت كي ينال العفو، رفض فكان مصيره الإعدام. أما دورا فقد هيّأت نفسها لمحاولة اغتيال أخرى لتلحق بكالياييف في فترة شهدت اندلاع ثورة دامية. لم يكن أولئك الثوار الشبان يتخيلون أن ما عانوه من أثر الظلم سوف ينتج عنه عكس ما كانوا يتوقعون، حيث استشرى منطق قاتل ترك بصمته على القرن العشرين.

وبإعطاء تلك الأدوار الروسية لفرنسيين من أصول مغاربية وكونغولية وكمبودية أراد عبدالملك أن يبيّن أن عالم الأمس لا يزال قائما بيننا، ولو أنه يميز بين أولئك الأنارشيست الروس وإرهابيي اليوم، بكونهم مثقفين، لا يرومون القتل لمجرد القتل، بل ثاروا على الظلم والجور توقا إلى حياة أفضل.

يقول عبدالملك "عندما أضع على الخشبة فرنسيين من أصول جزائرية وكونغولية وكمبودية وأوروبية فالغاية ليست البحث عن التنوع بقدر ما هي تأكيد على أننا كلنا متصلون بعضنا ببعض، وأن تواريخنا متشابكة. هؤلاء الشباب أسميهم شعب الأطراف، أناس الضواحي والأرياف الذين لا يُسمعون ولا يُرَون، ولا يظهرون على المسارح الباريسية إلّا في شكل كاريكاتيري".

لم ينأ عبدالملك كثيرا عن جوهر النص الأصلي، ولكنه حوّله إلى تراجيديا موسيقية كما قال، على غرار "هاملتون" الكوميديا الموسيقية الأميركية التي وضعها لين مانويل ميراندا عام 2007 عن سيرة أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة هو ألكسندر هاملتون (1757–1804).

> الممثلون تحولوا إلى شعراء يطرحون فكرة الحياة والموت التي تواجهها يوتوبيا ناشئة، وسردية عن تحلل عالم مثالي

واجتمعت في هذا العرض موسيقى الراب والهيب هوب والسْلام والإلكترو، لتقدّم نص كامو على إيقاع ألحان صاغها بلال ومرافقته والين، مع أناشيد جماعية تتخللها أقوال مأثورة مستوحاة من النص الأصلي، تصوّر رؤية مخصوصة للعالم. ومن خلال طريقتهم في التنقل داخل اللغة الموسيقية الموقّعة، لم يعد الممثلون مجرد متقمصين لأدوار محددة، بل صاروا أيضا شعراء يطرحون فكرة الحياة والموت التي تواجهها يوتوبيا ناشئة، وسردية عن تحلل عالم مثالي.

وبذلك تحوّل نص ألبير كامو إلى عرض يجمع بين الإلقاء الشعري والمسرح الذي تسنده موسيقى آلية وصوتية، بوليفونية، مفردة حينا ومصحوبة حينا آخر، والغاية من الموسيقى كما بيّن المخرج هي تسليط الضوء على وحدة أولئك العادلين، ونزاهتهم، وإخلاصهم لما التزموا به، دون التقليل من أهمية الرهانات الفلسفية لنص كامو في مجمله، ما سمح بالدخول إلى دلالاته الأكثر عمقا، بفضل تلك العناصر المؤثرة.